جورج بوانتيه

«وفيما كان بوانتيه يركب القطار ليبدأ رحلة السفر ليحارب ضد الهتلريين، همس فى أذنى قائلا : أنا أعرف أننى سأموت، وأرجوك أن تقول لزملائى فى حزب العمل السويسرى إننى ظللت مخلصا للشيوعية حتى نهاية حياتى».
(من حوار أجريته مع هنرى كورييل)

نحن الآن مع شيوعى رومانسى، وربما هو نوع من هؤلاء المناضلين الذين ساقتهم رومانسيتهم وصفاء سريرتهم نحو فكرة كانت لم تزل غامضة فى أذهان الكثيرين فى مصر، فقد غلف شيوعيته الحازمة بغلاف رومانسى رقيق ومفعم بالحنان.

يصرخ الكثيرون ضد النازية لكنه لا يعرف معنى الصراخ. وبهدوء شديد رتب أموره وحزم أمره وسافر ليقاتلهم بالسلاح لا بالشعارات، وجورج بوانتيه شيوعى سويسرى، كادر من كوادر حزب العمل السويسرى، حضر إلى مصر فى بداية الثلاثينيات من عمره ليعمل مدرسا بمدرسة البوليس، يتحدث عنه راؤول كورييل (شقيق هنرى) محاولا أن يصوغ كلماته بحنان شديد ومحبة لم تمحها الأيام قائلا: «عندما تعارفنا كان فى الخامسة والثلاثين من عمره، وكان أكبر منا سنا وأكثر منا خبرة، وأكثر فهما لما يجب أن نعمل، طويلا، ممشوقا وشعره الكستنائى يجعل منه فتى أحلام الكثير من الفتيات، خاصة بسبب حيويته الدافقة وجاذبيته وتعامله الودود مع الجميع، وكان يقيم فى بنسيون متواضع إلى جوار صديقة حميمة له هى مارجريت فويو، وهى فرنسية تعمل كمدرسة، ومعها ومع عدد من الأصدقاء المصريين بدأ فى تكوين «حلقة نضالية» تدعو للغوص وسط المصريين وإلى تمصير أفكارنا النظرية الغامضة وإلى تحويل الجدل الفكرى إلى نشاط عملى فاعل»، ويمضى راؤول: «عن طريقى تعرف بوانتيه بأخى هنرى الذى كان يشعر فى هذه الأيام بقرف شديد من عدد من الماركسيين الذين تجمعوا معنا والذين كانوا يتصورون أنه يتعين

علينا أن نحفظ الكتب النظرية من «رأس المال» إلى بقية الكتب التى كتبها ماركس وإنجلز ولينين عن ظهر قلب قبل أن نخطو أى خطوة عملية.

وبالنسبة لى أعتقد جازما أن بوانتيه هو الذى جعل من هنرى كورييل شيوعيا، ولم ينس هنرى ذلك أبدا وعندما كنا نتذكره فى أواخر أيامنا كان يتحدث عنه بتأثر شديد، وحين أقام هنرى فى فرنسا بشكل سرى فى عام ١٩٥١ اتخذ لنفسه اسما سريا هو "بوانتيه" ولاء ووفاء لذكرى أستاذه». ونمضى مع حوار راؤول: «كنا فى حيرة من أمرنا نحن نسمى أنفسنا «شيوعيين» ولكن لا يوجد حزب، وذات يوم وفى جلسة صاخبة صاح ريمون أجيون: ليس أمامنا سوى خيار من اثنين إما أن نقبل النظام القائم ونعمل فى إطاره، وهناك أمامنا الثروة والثراء، وإما أن نصبح ثوريين بحق»، واتخذ بوانتيه وهنرى كورييل قرارهما.. سنكون ثوريين «لكن بوانتيه والذى كان يبدو أهمنا بخبرته الأكثر وثوريته الحازمة فوجئ معنا بقرار ستالين بالاتفاق مع ألمانيا الهتلرية وتوقيع ستالين هذا الاتفاق مع روبنتروب» وانقسمت المجموعة.. ونعود إلى راؤول كورييل: «كنت فى غاية الحنق والغضب وبدأت فى الهجوم على ستالين بما منح السرور للشبان التروتسكيين، ورفضت التبرير الذى ساقه بوانتيه بشكل مرتب وشبه منطقى فقد قال لنا: «لا بد أن ندرك جدلية فكر ستالين فى التعامل مع هتلر ومع دول أوروبا الأخرى، فقد حاول بوضوح وصراحة تكوين حلف بين الاتحاد السوفيتى والدول الأوروبية ضد هتلر وموسولينى، لكن الأوروبيين (إنجلترا وفرنسا ومن خلفهما أمريكا) كانوا يحلمون بأن تتوجه طلقات النازى ضد الاتحاد السوفيتى وأن يشبع هتلر شهوته التوسعية باحتلال أراضى الاتحاد السوفيتى.

ورفضوا يد ستالين، وكان على ستالين أن يوقع اتفاقا مع هتلر فتتوجه نيران هتلر نحو باريس ولندن ويكسب هو بعضا من الوقت لإعداد جيشه، وكان صوته يعلو أمام استهزاء أغلبية الجالسين، مؤكدا: هى مجرد مهلة قصيرة ومؤقتة وعلينا أن نستعد للحرب مع النازى من الآن، ولم يقف مع بوانتيه إلا هنرى كورييل». ويمضى راؤول، «أما أنا فلم أقتنع، وصرت أهاجم ستالين صراحة وتشاجرت مع هنرى عندما رفعت صورة ستالين وقلت له خذ هذه وضعها فوق سريرك، أما أنا فلا حاجة لى بها».

وفيما كان الكثيرون منهمكين فى الهجوم على ستالين، وقليلون جدا على رأسهم هنرى

كورييل يقبلون بأفكار جورج بوانتيه قرر هو أن يلقن الجميع درسا، فالتوقيع على الاتفاق المؤقت بين ستالين وروبنتروب لا يعنى عدم محاربة النازى حيثما وجد. ورتب أمره وفاجأ الجميع أنه مسافر إلى فرنسا لينضم إلى الجيش الفرنسى الذى أوشك النازى على اجتياحه.

قليلون هم الذين صدقوا، وأقل منهم الذين ذهبوا لوداعه، منح بوانتيه صديقته مارجريت فويو قبلة حارة وقال لها بصوت مسموع: «أعدك يا حبيبتى الجميلة أن نتزوج يوم النصر»، ثم عانق هنرى كورييل عناقا طويلا جدا وهمس فى أذنه: «أعرف أننى سأموت فأبلغ رفاقى تحياتى»، صعد بوانتيه إلى القطار، وفيما القطار يتحرك وأيدى المودعين له تلوح.. وقف على باب القطار هاتفا: «سوف ننتصر، حتما ستنتصر الشيوعية على النازية».

وفى أغسطس ١٩٤٤ قتل بوانتيه مرتديا زى الجيش الفرنسى، لكن عينيه اتجهتا نحو رفاقه فى مصر.

وفيما أغادر راؤول العجوز قال: «لقد ذكرتنى بالجرح، نحن كنا نصرخ بالشعارات الشديدة الثورية، وهو كان هادئا ووديعا ومتعقلا، ها أنذا فى الثمانين أعيش هادئا وهو رحل بكبرياء، ليعلمنا أن الثورية فعل، وليست مجرد أقوال».